أجوبة الإشكالات المتوهمة على الإسلام

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه إجابات مختصرة على بعض الإشكالات الواردة على ديننا الإسلامي الحنيف، وقد تعمدت الإيجاز والوضوح في الإجابة واكتفيت ببعض الإجابات على الإشكالات من غيري لما رأيته من إجابة جيدة، وقد ذكرت مصادر الإجابات الواردة وبإمكان المراجع أن يعود إليها في مظانها، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

حسين صالح العايش البراك

١٨ / ٧ / ١٤٣٧ هـ

س١/ لماذا عدد النبي صلى الله عليه وآله الزوجات؟ ولماذا تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش؟

ج١/ الشيخ صالح الكرباسي

ما الحكمة في تعدد زوجات النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله) ؟

بيانُ حكمة تعدد زوجات نبينا محمد (صلَّى الله عليه وآله) والدوافع التي دعته إلى تكثير زوجاته (صلَّى الله عليه وآله) بحاجة إلى دراسة موضوعية تحليلية عميقة ودقيقة حتى يتمكن الباحث من خلالها التعرف على الأسباب الحقيقية لتعدد زوجاته (صلَّى الله عليه وآله) ، الأمر الذي حاول من خلاله بعض المغرضين والحاقدين على الإسلام أن يسجل على النبي (صلَّى الله عليه وآله) ملاحظة غير واقعية محاولاً إثبات وجود رغبة جنسية جامحة لدى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) كانت وراء تعدد زوجاته.

لكن الباحث الذي يدرس هذا الأمر بعمق ووعي سرعان ما يتضح له زيف هذا الادعاء وبطلان هذا التصور الخاطئ.

و مع أن دراسة هذا الموضوع بحاجة ـ كما قلنا ـ إلى بحث عميق ومفصل ، لكننا نحاول تسليط الضوء على النقاط الهامة والرئيسية التي تمكن الباحث من الوصول إلى النتائج الصحيحة والحقيقية ، أما النقاط فهي :

الاتهام الباطل

قد يحلو لبعض المغرضين والحاقدين : بأن يتهم الرسول الأعظم (صلَّى الله عليه وآله) بأنه إنما تزوج عدة نساءٍ استجابة لرغبة جنسية جامحة ، كان يعاني منها . و لكننا ، إذا درسنا هذا الجانب من حياته المباركة (صلى الله عليه وآله) بعمقٍ ووعي ، فإننا نخرج بنتيجة حاسمة تُثبت أن هذا الكلام محض خيال زائف ليس له منطق يساعده ولا دليل يتعمد عليه ، وذلك بملاحظة ما يلي :

١. إن حب الرجل للمرأة أمر طبيعي غير مستغرب ولا يتنافى مع مكانة الرجل ومقامه ومرتبته مهما علت وشمُخت ، ولقد كان النبي (صلَّى الله عليه وآله) رجلاً إنساناً فطبيعي أن يميل إلى المرأة ويشعر بالمتعة معها ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ولو كان زواجه بهذا العدد من النساء بدافع المتعة والالتذاذ فهو أمر غير مستغرب ، لكن دراسة الحياة الزوجية للنبي (صلَّى الله عليه وآله) تكشف لنا أن دافعه لم يكن المتعة وذلك لأن أكثر زوجاته (صلَّى الله عليه وآله) كنّ ثيِّبات ، إما مطلقات ، أو ترمّلن من أزواجهن قبله (صلَّى الله عليه وآله) .

فلو كان (صلَّى الله عليه وآله) يهتم بأمور الجنس والمتعة لكان باستطاعته أن يتزوج خيرة الفتيات الأبكار ، ولوجد أولياءهن يفتخرون بمصاهرته لهم ، وهو الذي حثّ وحبَّذ وأثنى على الزواج بالأبكار ، ورغّب فيه بشكل واضح وملموس .

٢. إنه (صلَّى الله عليه وآله) وهو في مكة بقي ٢٥ سنة مع زوجته خديجة ، المرأة الوفية ، التي كانت تكبره سناً ، كما يقولون ، ولم يتزوج عليها في حياتها أحداً ، مع أن تعدد الزوجات كان مألوفاً لدى الناس آنئذٍ .

٣. إننا نجده يرفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء ، في مقابل أن يلين في موقفه ، ويخفف من مواجهته لآلهتهم وعقائدهم .

٤. إن زوجاته (صلَّى الله عليه وآله) كنّ على كثرتهنّ من قبائل شتى ، لا تكاد تجد منهم اثنتين من قبيلة واحدة ، إلا من اللواتي لم يدخل بهن .

٥. إن جميع زوجاته باستثناء خديجة ، إنما دخلن بيت الزوجية عنده حينما كان في المدينة المنورة ، أي بعد تجاوزه سنّ الخمسين ، وبعضهن تزوجهن (صلَّى الله عليه وآله) قبل وفاته بمدة قليلة .

٦. إن هذا التعدد لم يشغل النبي (صلَّى الله عليه وآله) عن واجباته ، ولا أخرجه عن اتزانه ، ولا طغى على وقته ونشاطه ، وتاريخ حياته (صلَّى الله عليه وآله) يشهد بأنه (صلَّى الله عليه وآله) لم يكن يهتم بهذه الأمور ، بل كان مثال العفاف والطُهر الرفيع ، ولم يلوث نفسه بأيٍ عمل قبيح مما كانت الجاهلية تبيحه وتشيع في مجتمعه ممارسته ، ولم يستطع أحد من أعدائه أن يعيره بشيء من ذلك .

٧. أنه (صلَّى الله عليه وآله) قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه وبين الطلاق والفراق ، فلو كان زواجه بهن بسبب طغيان الغريزة الجنسية لديه ، لكان يجب أن يحتفظ بهن في جميع الأحوال ، ولا يفرط بهن لمجرد حبّه لحياة التقشف والزهد .

- فهل استيقظ فيه (صلَّى الله عليه وآله) الشعور الجنسي في المدينة بالذات وبعد شيخوخته وفي أواخر عمره ؟!
- وهل استيقظ هذه الشعور على خصوص النساء اللواتي ترملن ؟ أو طلقهن أزواجهن ؟!
- أوهل أراد حقاً أن يتذوق نساء القبائل المختلفة في الجزيرة العربية ؟! و لماذا اختص ذلك بالعربية دون غيرها ؟!

الدوافع الحقيقية

و بعد ما تقدم ، فإننا إذ نجيب على التساؤل حول السبب في كل ذلك ودوافعه وآثاره ، نقول :

إن زواجه (صلَّى الله عليه وآله) المتعدد هذا ، قد كان لدوافع سياسية ، وأحكامية ، وإنسانية ، وانطلاقاً من مصلحة الإسلام العليا.

و توضيح ذلك ـ قدر الإمكان ـ يكون من خلال النقاط التالية :

النقطة الاولى

إن بعض موارد زواجه (صلى الله عليه وآله) كانت دوافعه إنسانية بحتة ، لكون تلك المرأة قد أسلمت وهاجرت ، ثم توفي أو قتل عنها زوجها ، ولم يكن لها سبيل للرجوع إلى أهلها المشركين ، لأنها لم تكن قادرة على مقاومة الضغوط النفسية والمادية القاسية والوحشية التي كانت تفرزها تلك المجتمعات الجاهلية ولم تكن بمأمن من أن تتعرض لأنواع التعذيب الجسدي الوحشي فيما لو أرادت أن تحتفظ بدينها وعقيدتها وهي تعيش بينهم وفي بيئتهم .

كما وأن بعضاً من هذه النساء حتى لدى انتقالها الى المجتمع الاسلامي لم تكن قادرة على أن تمارس حياتها بصورة طبيعية من دون أي ما معيل ولا كفيل لها في هذا المجتمع الجديد ، كما كان الحال بالنسبة لسودة بنت زمعة التي كانت مسنّة ، ويزيد عمرها على الخمسين عاماً ، وكذا الحال بالنسبة لزينب بنت خزيمة .

هذا بالإضافة إلى أن كونها أيِّماً سيطلق الألسنة والأهواء في حقها وفي اتهامها ، ويجعلها تتعرض لضغوط وإغراءات ربما لا تناسبها أو لا يتناسب وموقعها ومصيرها في هذا المجتمع الغريب ، هذا إن لم يؤدّ ذلك إلى أزمات نفسية أو قَبَلية لا مبرر لها .

فخير كافل وخير معين وحافظ وولي لها ، هو النبي الأكرم (صلَّى الله عليه وآله) ، إلا إذا رزقها الله زوجاً من بعض خيار أصحابه (صلَّى الله عليه وآله) إذا كان فيهم من يقدم على ذلك .

النقطة الثانية

إن زواجه (صلَّى الله عليه وآله) بـ " جويرية " كان لمصلحة دينية ، حيث قد نشأ عنه :- كما يقولون- أن يُطْلِقَ المسلمون مئة من أهل بيتها ، وعند دحلان مئتين من الأسرى من قبيلتها ، فأسلم من قومها خلق كثير ، على حد تعبير المؤلفين في السيرة النبوية ١ ، ولهذا وصفت بأنها كانت أكثر نسائه بركة - ما عدا خديجة - .

فهذا نوع من التأليف للناس على الإسلام ، والترغيب فيه ، كما كان (صلَّى الله عليه وآله) يتألفهم بطرق أخرى كبذل المال لهم ، وتزويجهم ، وتوليتهم بعض الأمور ، وغير ذلك .

بل نجد عمرو بن العاص يذكر لنا نوعاً من التأليف للقلوب لم يكن يخطر على البال ، يقول عمرو : " كان رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يقبل بوجهه وحديثه عليّ ، حتى ظننت أني خير القوم ... " .

ثم ذكر أنه سأل النبي (صلَّى الله عليه وآله) عن نفسه ، وفلان ، وفلان ، فأخبره : أنهم أفضل منه ، فيقول عمرو : " فلوددت أني لم أكن سألته " ٢ .

النقطة الثالثة

إن زواجه (صلَّى الله عليه وآله) بـ " زينب بنت جحش " كان لضرورة إقتضاها التشريع الاسلامي ، حيث إنه (صلَّى الله عليه وآله) كان قد تبنى زوجها زيد بن حارثة ، وكان العرب يعتقدون أن آثار التبني هي نفس آثار البنوّة الحقيقية ، فيحلّ للمتبني ما يحلّ من ولده الحقيقي ويحرم عليه ما يحرم عليه منه ، ويرث ، ويعامل ـ تماماً ـ كالابن الحقيقي بلا فرق .

و لم يكن مجال لاقتلاع هذا المفهوم الخاطئ إلا بالإقدام على عمل أساسي لا مجال للريب ولا للتأويل فيه .

فكان زواج النبي (صلَّى الله عليه وآله) من زوجة ابنه بالتبني بعد أن طلقها زيد هو الوسيلة الفضلى لقلع هذا المفهوم الخاطئ من أذهانهم، وهكذا كان.

النقطة الرابعة

لقد جاء الرسول الأعظم (صلَّى الله عليه وآله) لهداية الناس وإرشادهم ، ولا بُدَّ لهم من الإيمان به والتسليم لأمره ونهيه ، بل لا بُدَّ أن تكون له مكانة ومحبة في نفوسهم تزيد على محبتهم لكل شيء آخر ، حتى المال ، والولد ، والنفس ، بنص القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ٣ .

و لكن ، وبعد أن اضطر (صلَّى الله عليه وآله) إلى مواجهتهم بالحرب وقهرهم ، وتمكّن من السيطرة عليهم ، حدث بين كثير من القبائل ـ التي كان عدد من زوجاته (صلَّى الله عليه وآله) ينتمي إليها ـ وبين المسلمين ، والنبي (صلَّى الله عليه وآله) على رأسهم ، حروب وقتلى ، وكانت لقضية الثأر والدم عند العربي أهمية خاصة .

نعم بعد ذلك كله ، مسّت الحاجة إلى إتباع أساليب كثيرة من أجل تأليفهم ، وإيجاد علاقات من نوع معين ، تفرض عليهم ، أو على الأقل على الكثيرين منهم ـ والنبي (صلَّى الله عليه وآله) يهمه حتى الفرد الواحد ـ أن يرتبطوا به ويتعاملوا معه تعاملاً واضحاً ، ومن موقع الثقة المتبادلة ، ويقطع الطريق عليهم في أتخاذهم لأي موقف سلبي منه ومن دعوته .

و بعد أن يتمكن من شحنهم روحياً وعقائدياً ، يكون قد مهد الطريق للقضاء على الأحقاد والإحن ، ليتسنى للمسلمين ـ من خلال ذلك ـ العمل يداً واحدة من أجل هدف واحد وفي سبيل واحد . ولهذا نجده (صلَّى الله عليه وآله) يتحمل من بعض تلك النسوة أذى كثيراً ، ويواجه صعوبات جمة معها ، ولكنه لا يبادر إلى قطع العلاقة معها نهائياً ، لأنه يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسي الحرج ، لا من جوّ بيت الزوجية ٤ .

النقطة الخامسة

و كشاهد على ما تقدم نذكر : أن زواجه (صلَّى الله عليه وآله) بـ "حفصة" مثلاً كان ـ على ما يظهر ـ زواجاً سياسياً ، ويمكن أن يتضح ذلك من كلام أبيها عمر لها ، حين طلقها النبي (صلَّى الله عليه وآله) ، وأراد طلاقها مرة ثانية ، حينما تظاهرت هي وعائشة عليه (صلَّى الله عليه وآله) ، واعتزلهما ، فقد قال عمر لابنته : " والله ، لقد علمتُ أن رسول الله لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) " ٥ .

كما ويرى البعض : أنه (صلَّى الله عليه وآله) أراد أن يساوي بين أبي بكر وعمر من جهة المصاهرة لكل منهما ٦ .

و معنى كلامه هذا هو أن الدافع للزواج بحفصة كان سياسياً ، وليس هو الرغبة الجنسية الجامحة ، كما يدَّعون .

و كذا الحال بالنسبة لزواجه بعائشة ، حيث تزوجها من أجل الاحتفاظ بولاء أبيها وأبنائه إلى جانبه .

و حينما طلّق رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) حفصة في المرة الأولى ، حثى عمر على رأسه التراب ، وقال ما يعبأ الله بعمر ، وابنته بعدها ، فراجعها النبي ، رحمة لعمر ٧ .

فهذا الموقف الشديد لعمر من طلاق ابنته ، جعل النبي (صلَّى الله عليه وآله) يضطّر إلى مراجعتها من جديد ! !

و قد ذكَّرها عمر بهذا الأمر حينما أراد (صلَّى الله عليه وآله) طلاقها في المرة الثانية فقال : إنه قد كان طلّقك مرة ، ثم راجعك من أجلي ، أو قال : إن النبي طلقك وراجعك من أجلي ، أو نحو ذلك ٨ .

و بعد ما تقدم يتضح أنه لا يصح قولهم : إنه (صلَّى الله عليه وآله) إنما راجعها لأن جبرئيل أمره بمراجعتها ، لأنها صوامة قوامة ٩ ، خصوصاً وأن الصوامة القوامة لا تجعل النبي (صلَّى الله عليه وآله) يضطر إلى طلاقها مرتين ، ثم يراجعها من أجل أبيها .

كذبة مفضوحة

و من الكذب الواضح هنا : ما روي أنه لما طلقها النبي (صلَّى الله عليه وآله) اغتم الناس ، ودخل عليها خالها عثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، فبينما هو عندها وهم مغتمون ، إذ دخل النبي (صلَّى الله عليه وآله) على حفصة ، وقال : يا حفصة ، أتاني جبريل (عليه السَّلام) آنفاً ، فقال : إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : راجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وهي زوجتك في الجنة .

و ثمة نص قريب من هذا ، ورجاله رجال الصحيح ١٠ كما يدّعون .

و هذا من الكذب الواضح ، فإن عثمان بن مظعون قد توفي قبل زواج النبي (صلَّى الله عليه وآله) بها بمدّة ، وقضية الطلاق إنما حصلت في قضية لها مع مارية التي قدُمت إلى المدينة سنة سبع ، أو ثمان .

و قد قلنا إن الصوامة القوامة لا يعهد منها أن تؤذي النبي إلى حد يضطر معه إلى طلاقها مرتين . والتي تؤذي النبي لا يعقل أن تكون معه في الجنة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١١ .

و قال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ١٢ .

و بعد هذا ، فلا يمكن أن نصدق : أن يأتي جبرئيل فيأمره بمراجعة من هذه حالها ، ثم يحكم ـ علاوة على ذلك ـ لها بالجنة ١٣ .

س/ هل الزواج السياسي احتقار للمرأة ؟

ربما يقال : إن الزواج السياسي من قبل النبي (صلَّى الله عليه وآله) ، أو من قبل الإمام الحسن (عليه السَّلام) من جعدة بنت الأشعث ، إهانة للمرأة ، وتحقير لها ، وامتهان لكرامتها كإنسان .

و الجواب :

أولاً : إن النساء يختلفن من حيث الكرامة والقيمة بإختلاف حالاتهن ، وبمقدار التزامهن بخط الإسلام والأحكام ، ففاطمة ومريم ، (عليهما السَّلام) وامرأة فرعون وخديجة ، وأم سلمة (رحمهن الله) ، لسن مثل إمرأة نوح وإمرأة لوط ، فالمرأة التي ترضى لنفسها أن تكون في موقع الإهانة لا تكون إهانتها إهانة للجنس .

و ثانياً : إنه إذا كان الزواج بامرأة ما سبباً لهداية جماعة من الناس ، أو دفع ضرر عن الإسلام أو عن المسلمين ، فإنه يكون تكريماً للمرأة ، وتشريفاً لها ، لا سيما إذا كان ذلك من نبي أو وصي .

فاعتبار ذلك إهانة للمرأة ليس له ما يبرره ١٤ .

١. سيرة المصطفى / ٤٦٧ .
٢. مجمع الزوائد : ٩ / ١٥ ، عن الطبري بأسناد حسن ، وفي الصحيح بعضه بغير سياقه ، وحياة الصحابة : ٢ / ٧٠٦ عن الترمذي في الشمائل : ٢٥ .
٣. القران الكريم : سورة التوبة (٩) ، الآية : ٢٤ ، الصفحة : ١٩٠ .
٤. يراجع : حديث الإفك : ١٦٥ ، للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي .
٥. صحيح مسلم : ٤ / ١٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٩٠ .
٦. مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بزينب بنت جحش : ١٠٤ .
٧. أسد الغابة : ٥ / ٤٢٦ ، والإصابة : ٤ / ٢٧٣ ، والإستيعاب بهامش الإصابة : ٤ / ٢٦٩ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ٢٤٤ عن الطبراني .
٨. تراجع هذه النصوص في : أسد الغابة : ٥ / ٤٢٦ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ٢٤٤ عن الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، والإصابة : ٤ / ٢٧٣ عن أبي يعلى . وراجع : سيرة مغلطاي : ٤٨ .
٩. طبقات ابن سعد : ٨ / ٥٨ و٥٩ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ٢٤٤ عن البزار والطبراني ، وأسد الغابة : ٥ / ٤٢٥ ، والإستيعاب بهامش الإصابة : ٤ / ٢٦٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات : ٢ .
١٠. يراجع : مجمع الزوائد : ٩ / ٢٤٤ عن الطبراني في الأوسط ، وفي السند من لم يعرفهم ، وفي : ٢٤٥ ما يقرب من هذا النص ، وقال : إن رجاله رجال الصحيح ، ويراجع أيضاً : تاريخ الخميس : ١ / ٤١٦ / ٤١٧ ، وطبقات ابن سعد : ٨ / ٥٨ .
١١. القران الكريم : سورة التوبة (٩) ، الآية : ٦١ ، الصفحة : ١٩٦ .
١٢. القران الكريم : سورة الأحزاب (٣٣) ، الآية : ٥٧ ، الصفحة : ٤٢٦ .
١٣. يراجع بعض قضاياها في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في ترجمتها في كتاب قاموس الرجال ، وكتاب عائشة للعلامة المحقق السيد مرتضى العسكري وغيرهما .
١٤. الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) : ٥ / ٢٥٣- ٢٦١ ، للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي : طبعة دار السيرة ، بيروت / لبنان .

س٢/ ما معنى قوله تعالى: (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ)؟

ج٢/ قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

كلام الشيعة في تفسير الآية (الأمثل):

إن العبادة لا تنحصر بمعنى الركوع والسجود فقط ، بل إن من مصاديقها الطاعة . كما ورد في الآية (٤٧) من سورة " المؤمنون " أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وفي الآية (٣١) من التوبة نقرأ : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا . والجميل أنه ورد في رواية عن الصادق (عليه السلام) تعليقا على الآية بقوله : " أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون " (١) . وعن الصادق (عليه السلام) أيضا أنه قال : " من أطاع رجلا في معصية فقد عبده " (٢) .

عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : " من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان " (٣) . الآية التالية تأكيد أشد وبيان لوظيفة بني آدم ، تقول الآية الكريمة : وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم .

وقال أيضاً :

ومما لا شك فيه أن اليهود والنصارى لم يسجدوا لأحبارهم ورهبانهم ، ولم يصلوا ولم يصوموا لهم ، ولم يعبدوهم أبدا ، لكن لما كانوا منقادين لهم بالطاعة دون قيد أو شرط ، بحيث كانوا يعتقدون بوجوب تنفيذ حتى الاحكام المخالفة لحكم الله من قبلهم ‹ صفحة ١٠ › .

فالقرآن عبر عن هذا التقليد الأعمى بالعبادة . وهذا المعنى وارد في رواية عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) إذا قالا : " أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ، ولكنهم أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا ، فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون " . (١) وفي حديث آخر ، أن عدي بن حاتم قال : وفدت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان في رقبتي صليب من الذهب ، فقال لي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا عدي ألق هذا الصنم عن رقبتك ، ففعلت ذلك ، ثم دنوت منه فسمعته يتلو الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا فلما أتم الآية قلت له : نحن لا نتخذ أئمتنا أربابا أبدا ، فقال : " ألم يحرموا حلال الله ويحلوا حرامه فتتبعوهم ؟ فقلت : بلى ، فقال : فهذه عبادتهم " (٢) .

والدليل على هذا الموضوع واضح ، لأن التقنين خاص بالله ، وليس لأحد سواه أن يحل أو يحرم للناس ، أو يجعل قانونا ، والشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يفعله هو اكتشاف قوانين الله وتطبيقها على مصاديقها . فبناء على ذلك لو أقدم أحد على وضع قانون يخالف قانون الله ، وقبله إنسان آخر دون قيد أو اعتراض أو استفسار فقد عبد غير الله ، وهذا بنفسه نوع من أنواع الشرك العملي ، وبتعبير آخر : هو عبادة غير الله . ويظهر من القرائن أن

اليهود والنصارى يرون مثل هذا الاختيار لزعمائهم ، بحيث لهم أن يغيروا ما يرونه صالحا بحسب نظرهم ، وما يزال بعض المسيحيين يطلب العفو من القسيس فيقول له القس ، عفوت عنك ! وكان - منذ زمن - موضوع صكوك الغفران رائجا . وهناك لطيفة أخرى ينبغي الالتفات إليها ، وهي أنه لما كانت عبادة المسيحيين لرهبانهم تختلف عن عبادة اليهود لأحبارهم ، فالمسيحيون يرون المسيح ابن الله واقعا واليهود يطيعون أحبارهم دون قيد أو شرط ، لذا فإن الآية أشارت إلى عبادة كل منهما ، فقالت : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . ثم فصلت المسيح على حدة فقالت : والمسيح ابن مريم . وهذا التعبير يدل على منتهى الدقة في القرآن . وفي ختام الآية تأكيد على هذه المسألة ، وهي أن جميع هذه العبادات للبشر بدعة ، وهي من العبادات الموضوعة وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

إيضاح وتتميم :

بمعنى أنّ فصل عيسى عن بقية الأحبار والرهبان لأمرين:

الأول: أنه وبالرغم من قربه من الله تعالى واجتباء الله تعالى له فهو أيضاً بشر لا يستحق العبادة، بل هو عبد لله تعالى فكيف يعبد؟ ففصله لتبيان أنه إذا كان بهذه المكانة من القرب من الله تعالى ومع ذلك لا تجوز عبادته فغيره من باب أولى، وأيضاً لابد أن يفصل لتكريمه ولمنزلته من الله تعالى.

الثاني: أنّ فصل عيسى ع لأنه هو المبلغ عن الله تعالى والله تعالى يفصح عن أنّ عيسى ع من يطيعه فقد أطاع الله وقد جاء هذا المعنى في

القرآن الكريم، قال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)(النساء)٨٠)، وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)(الحشر:٧) بمعنى أنّ أمر النبي هو أمر الله تعالى ونهيه نهي لله تعالى، وهذا يصدق على جميع الأنبياء والرسل، ولهذا فصل القرآن المسيح عن سائر الأحبار والرهبان.

س٣/ ما معنى كون الإسلام ديناً للسلام؟

ج٣/ الإسلام دين السلام.

قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الأنفال:٦١، وقال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) النساء:٩٤، وقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة:٨.

إذن الإسلام يدعو إلى السلام وتحيته هي السلام عليكم، نعم؛ بعض المسلمين ومنذ عهود الإسلام الأولى فهم الإسلام فهماً متطرفاً وخاطئاً، فلذلك اعتدى على المسلمين وعلى غيرهم كالخوارج قديماً والمتطرفون حديثاً، ولكنهم لا يمثلون الإسلام كما أنّ بعض الدول الاستعمارية الأوروبية فعلت الكثير من المجازر والانتهاك لحقوق الإنسان والقتل والدمار ولا زالت تمارس بعضاً من سياساتها الاستعمارية ضد بعض البلدان لكن ذلك لا يرجع إلى كونهم يدينون بالمسيحية بل يرجع إلى مصالحهم المادية ومحاولة الهيمنة على الشعوب الفقيرة والبلدان الضعيفة.

س٤/ لماذا شجب الإسلام السفور والتمرد على القوانين الإلهية، وكان ضد الزنا والفواحش؟

ج٤/ أما كون الإسلام ضد اللقطاء وضد العصاة وضد المرأة السافرة، فذلك من أجل نشر الفضيلة في المجتمع والقضاء على الرذيلة، وتحكيم سيادة القانون ليعيش المجتمع التقدم والازدهار في الجنبتين المادية والمعنوية.

س٥/ ما معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (نصرت بالرعب)؟

ج٥/ أما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصرت بالرعب فهذا كنصر موسى ع بالمحبة قال تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)طه:٣٩، ونصر عيسى ع بالمعاجز فإنّ الله تعالى نصر محمداً بالرعب بمعنى أنّ من يعاديه يخاف منه كما يخاف المجرم من القانون وسيادة الدولة، وهذا نحو من النصر الإلهي، فموسى ع كل من رآه أحبه، ومحمد ص كل من أبغضه وحاول أن يقضي عليه خاف من ذلك وارتعب، وهذا معنى نصره بالرعب، والله تبارك وتعالى جعل هذا النصر أيضاً بدرجة أقل لبعض الصالحين المؤمنين يخاف الناس منهم ويرتعبون لأنّ الله تعالى أيدهم بذلك.

س٦/ الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم والمعاني العظيمة لآياته الكريمة؟

ج٦/ هل أنّ من يقرأ القرآن يخرج خاوياً روحياً أو أنّ القرآن لا موضوع له .. وإليك بعض أنحاء الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم في بعض سوره من دراسة للدكتور عباس عوض الله عباس في كتابه محاضرات في التفسير الموضوعي :

كمال الوحدة الموضوعية بالنسبة إلى كل سورة ذكر فيها الموضوع على حدة، فهذه هي المرتكزات الهامة التي ترتكز عليها الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

أمثلة للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

ونريد بالأمثلة هنا على تعددها واختلافها نوعين من الأمثلة. النوع الأول: الآيات المتفرقة التي تتحدث في موضوع واحد، والنوع الثاني: السورة أو السور القرآنية التي تتحدث في موضوع واحد.

المثال الأول: جمع الآيات المتفرقة والتي تتحدث في موضوع واحد، إذا أراد الباحث أن يطرق مثل هذا الموضوع من موضوعات القرآن الكريم، لا بد أن يكون تصوراً لأبعاد الموضوع، وأن يتدرج في جمع المادة العلمية متبعاً الخطوات التالية[١]:

(أ) أن يختار عنواناً للموضوع القرآني الذي يريد البحث في آياته بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده.

(ب) أن يجمع بقدر الإمكان كل الآيات التي تتعلق بالموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه.

(ج) أن يرتب الآيات حسب النزول مكية كانت أو مدنية.

(د) دراسة تفسير الآيات بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي، ولا بد من التعرف إلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها والروابط بين الألفاظ في الجملة، وبين الجمل في الآية، وبين الآيات التي تتحدث على الموضوع.

(١) راجع مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم، ص ٣٧ وما بعدها.

(هـ) بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجيهات القرآنية إن أحاط بها. وللباحث أن يقدم أو يؤخر العناصر حسب أهميتها في موضوع الآيات.

(و) ثم يلجأ الباحث بعد ذلك إلى التفسير الإجمالي في عرض الأفكار لبحثه مستشهداً بالأحاديث النبوية، وفهم الصحابة، رضوان الله عليهم، لنصوص آيات القرآن الكريم.

(ز) كما لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي، فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات، فلا بد من وضع تمهيد يبين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع، ثم يقسم الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث، ويجعل للباب عنواناً وللفصل كذلك، وللمبحث عنواناً خاصاً به، أما إذا كان الموضوع محدد المعالم، واضح المجالات، قليل العناصر، فيمكن أن يجعل الباحث بحثه في شكل مقالة علمية تتكون من المقدمة والموضوع والخاتمة متناولاً القضية بأسلوب علمي رصين.

(ح) وليكن هدف الباحث إبراز حقائق القرآن الكريم مع ذكره حكمة التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان.

ونأخذ مثالاً على ذلك: صفات الأنبياء عليهم السلام: إذا تتبعنا القرآن الكريم واستعرضنا آياته التي تتحدث عن الأنبياء الكرام نجد فيها الذكر العطر والثناء الحسن على هؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة ليكونوا حملة الهداية والإصلاح وقادة ركب الإنسانية إلى السعادة، ومن صفاتهم في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٧٣].

وصفات الأنبياء والرسل تتلخص في الآتي[١]:

(١) الصدق: وهذه الصفة ملازمة للنبوة، وهي وإن كانت ضرورية للبشر، إلا أنها بالنسبة إلى دعوة الأنبياء صفة لازمة، ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى في حق النبي الكريم ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٦٩/ ٤٤-٤٨].

(٢) الأمانة: وهو أن يكون النبي أميناً على الوحي يؤديه دون زيادة أو نقصان بلا تحريف ولا تبديل، فالأنبياء مؤتمنون على الوحي، قال تعالى في وصف النبي: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٧/ ٦٨] وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٥٣/ ٣-٤].

(٣) التبليغ: وهذه صفة ملازمة للرسالة قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٥/ ٦٧]، فكل رسول مكلف بالتبليغ وكل نبي قد بلغ قومه، ومنهم نوح وصالح وهود وشعيب وغيرهم من أهلك الله أقوامهم لعدم استجابتهم للدعوة، وكل من هؤلاء يقول لقومه: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧/ ٩٣].

(٤) الفطانة: وهي الذكاء والنباهة، فلم يبعث أحد من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من النباهة والذكاء مع كمال العقل والرشد ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٢٤].

---

(١) انظر هذه الصفات كاملة في كتاب دراسات في التفسير الموضوعي، الألمعي، ص ٢٢٣ وما بعدها.

وإذا كان البشر يعتريهم الضعف والشيخوخة ويصل بعضهم إلى حالة (الخرف) فإن الأنبياء يظلون على رجاحة العقل وقوة التفكير مهما امتدت أعمارهم بعناية الله وحفظه لهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(٥) السلامة من العيوب المنفرة: خَلْقية أو خُلُقية تنفر الناس منهم، والأمراض المنفرة كالبرص والجذام لا يمكن أن تصيب أحد الأنبياء عليهم السلام، وما روي عما أصاب نبي الله أيوب، عليه السلام، فهو من الإسرائيليات الكاذبة التي لا يعتمد عليها، وقد ذكر لنا القرآن أن هناك ضراً أصابه فدعا ربَّه فكشف الله عنه هذا الضرّ قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٨٣-٨٤]. ونسب ما أصابه من ضر إلى الشيطان لأن الشيطان كان يوسوس إليه ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٣٨/ ٤١]، وظاهر الآيات أن الضر الذي أصابه كان في جسمه وأهله، وهذا النوع من الضر يلحق بالبشر ويلحق بالأنبياء، فإن المرض يعتريهم كالموت، وليس في ذلك ما ينقص من قدرهم أو مكانتهم.

(٦) العصمة: سميت العصمة عصمة، لأنها تمنع من ارتكاب المعصية، وأما في الشرع: فهي حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات، فهم معصومون من الصغائر والكبائر، بعد النبوة باتفاق، وأما قبل النبوة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة التي لا تخل بالمروءة ولا تقدح بالكرامة والشرف[1].

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٠٨.

فهذا نموذج للتفسير الموضوعي لبعض الآيات التي تتعلق بموضوع واحد هو صفات الأنبياء كما جاءت في القرآن الكريم.

والمثال الثاني: التفسير الموضوعي لسورة من القرآن الكريم تشتمل على وحدة موضوعية:

قبل البدء في تفسير السورة لا بد من دراسة أولية للسورة تحت عنوان «بين يدي السورة» تتناول فضل السورة ومميزاتها وسبب تسميتها إن وجد، وسبب النزول لأنها تعين على التعرف على موضوع السورة، ثم التعرف على الهدف الأساسي للسورة، وذلك من خلال استعراض الأحداث والقضايا الأساسية التي تناولتها السورة والرابط الذي يربط تلك القضايا بعضها مع بعضٍ، وكذلك يمكن التعرف على هدف السورة من خلال الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة، ومن ذلك نجد أن السور المكية تناولت قضايا الإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث بعد الموت، والإيمان بالرسالات السماوية، والدعوة إلى أمهات الأخلاق، وأما السور المدنية فقد كان طابعها بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة، وحماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية بكشف خطط المتآمرين، وهتك أستار المنافقين وأوليائهم من اليهود الماكرين.

هنالك سور كثيرة في القرآن الكريم تشكل وحدة موضوعية كسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويوسف والكهف والنور، ولكننا سنتعرض بالمثال لا الحصر لثلاث سور هي: الأنعام، ويوسف، والكهف.

المثال الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام[١]

إن الموضوع الذي تحدثت عنه السورة هو العقيدة الإسلامية من جميع جوانبها بدءاً بالآيات التي تناولت الوحدانية بكل معانيها، فقد تطرقت الآيات في سورة الأنعام لتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الولاية التشريعية، بمعنى أنه ينبغي أن نعتقد أن الله وحده هو المشرع، وتوحيد الحاكمية بمعنى أن الله سبحانه وتعالى له الحكم في كل شيء، كما تناولت سورة الأنعام في وحدتها الموضوعية وصايا الدين الإسلامي الجامعة، والأسس التشريعية، وكذلك تناولت جانباً هاماً في العقيدة الإسلامية جانب الأصول الإيمانية، وبذلك تكون سورة الأنعام وحدة موضوعية تتناول العقيدة الإسلامية متمثلة في الآيات التي تحدثت عن قضية الألوهية وقضية الوحي والرسالة وقضية البعث والجزاء.

المثال الثاني: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام[٢]

تناولت سورة يوسف، عليه السلام، وحدة الأحداث الموضوعية بشقيها القصصي والتعقيبي، والتي تهدف إضافة لإرساء أسس العقيدة، إلى تسلية المصطفى ﷺ وهو ما يزال في مكة المكرمة، ويتبين الباحث أدوات الشخصيات المختلفة في سبيل تحقيق الوحدة الموضوعية، فالشخصية الرئيسية التي تدور حولها الأحداث في سورة يوسف هو يوسف، عليه السلام، كما يجد الباحث من خلال الوحدة الموضوعية لهذه السورة الكريمة دراسة للمجتمعات المكية والشامية والمصرية، وكذلك الدروس المستفادة من سورة يوسف عليه السلام.

---

(١) راجع الوحدة الموضوعية في سورة الأنعام رسالة دكتوراه، للدكتور عباس عوض الله عباس، جامعة أم درمان الإسلامية.

(٢) رسالة للدكتور حسن محمد باجودة، طباعة دار الكتب حديثة، مصر.

لذلك فإن قصة يوسف، عليه السلام، ينبغي أن تتلى كلها متوالية الحلقات والمشاهد من البداية حتى النهاية، فالسورة ذات طابع خاص منفرد في احتوائها على قصة يوسف، عليه السلام، كاملة. وقصة يوسف، عليه السلام، وحدة موضوعية متماسكة، وهي أطول قصة في القرآن الكريم تجتمع حلقاتها كلها في سورة واحدة، حيث إننا نجد أن قصة موسى، عليه السلام، مثلاً موزعة على سور القرآن الكريم من سورة البقرة إلى سورة النازعات تارة بإسهاب شديد أو إيجاز بديع تارة أخرى، لذلك فإننا نجد في سورة يوسف الخصائص الفنية البحتة للقصة من خصائص الموضوع وخصائص العرض والأداء، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ١٢/ ٣].

يقول الإمام القرطبي: «ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر والإعجاز لمن تأمل» اهـ[١].

ونجد أن كل العظات المبثوثة في حنايا السورة تتناسب مع القصة، والقصة تتكامل معها لتحقيق القضية الكبرى التي جاء بها هذا القرآن للبشرية كما جاءت بها رسالات الأنبياء في العصور اللاحقة.

المثال الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة الكهف[٢]

إن القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة ففي أولها تجيء قصة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١١٨.

(٢) انظر دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور الألمعي، ص ١٤٥ وما بعدها.

أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، وما تبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على تلك القصص إلى جانب ذكر مشاهد الحياة ومشاهد القيامة.

أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها ويدور حوله سياقها فهو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ١٨/ ٤]، وختاماً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١٨/ ١١٠]، وهكذا يتساوى البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك. وبهذا يتجلى للناظر في السورة أنها منتظمة النسق، مطردة السياق، واضحة الغرض، قوية الأسلوب في أولها وآخرها وفي أثنائها في معنى واحد تلتقي عنده وحدة الموضوع في السورة الكريمة من أمثال وقصص ووعد ووعيد وتذكير وبيان.

لقد تناولت السورة قضية توحيد الله سبحانه وتعالى، فلا يخلو مقطع من المقاطع من توجيه العبادة لله سبحانه وتعالى والإخلاص له في القول والعمل وترك عبادة الطواغيت والشركاء، وكذلك الدعوة للإيمان باليوم الآخر من أبرز القضايا التي تناولتها السورة، وكذلك استهدفت السورة أمهات الأخلاق بضرب الأمثال للقيم الحقيقية، والقيم الزائفة الخادعة التي تموه الباطل وتظهره على غير حقيقته بتركها والبعد عنها مما يجعل عناصر الوحدة الموضوعية في سورة الكهف واضحة المعالم.

ولقد امتاز القرآن الكريم من جملة ما امتاز به، بأنه حين يعرض لموضوعاته، يعرض لها بطريقة لم يسبق إليها، فلا يستطيع أن يسلكها

سالك، أو أن ينتهجها ناهج، فهو في عرضه يتخذ له أسلوباً يختص به، أعجز الإنس والجن عن معارضته، فتراه حين يعرض، يأتي بوجوه متعددة وأساليب متنوعة وأفانين متجددة، يراعي المقام في كل موقف من مواقفه، ويطابق جميع مقتضيات الحال في كل عبارة من عباراته، فله في كل مقام مقال، وفي كل موضوع مجال، له طرق في الأداء لا عهد للبشر بها في أبلغ كلام، ولا مثيل لها في أفصح بيان، غاية في البلاغة، ليست لها نهاية، ونهاية في الفصاحة، لا يجاوز الفصحاء مبتداها، ثم هو فيما يعرضه من موضوعات شتى لا يهمل جانب النظر ولا يغض من شأنه، بل يحث عليه، ويدعو إليه، وتتحاكم إليه العقول في كشف الحق، وبيان الصدق، يشفع حكمه ببيان حكمته، وتوجيه شرعته، ثم يدع للسامع الحرية وحسن الاختيار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وإن تعجب فعجب عرضه للموضوع الواحد، ذي المعنى المتحد، والهدف المشترك، فإنك تجده مع تفرقه في القرآن في أماكن عدة، ومع تباعد أوقات نزوله، وتباين أزمان وصوله، ليست بين آياته مفارقة ولا تشويه ولا تناقض، بل هي وحدة واحدة، مترابطة، متناسقة، تكون لنا صورة واحدة في أحسن تقويم، وتعطينا منظراً متألقاً في أبدع تنظيم، وتصور لنا كائناً متناسق الأعضاء، مترابط الأجزاء، متكامل البناء، جيد السبك، قوي المعنى، متين النظر، لا تناكر بين معانيه في العقول والأفهام، ولا تباين بين مبانيه في الأسماع والآذان، بل يكمل بعضه بعضاً، ويأخذ بعضها بحجز بعض، كل جزء يستدعي الآخر، وكل لفظ يقع مع الثاني في موقعه، وخلاصة القول: إن القرآن العظيم في عرضه لموضوعات سوره وآياته فريد في هذا الباب، ونجد أن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم تجعل القارئ يستكشف هداية القرآن ومواضعه وما جاء به لأداء مهمته ورسالته[1].

(١) راجع دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني للدكتور أحمد جمال العمري، طباعة مكتبة=

وفي معرض حديثنا عن الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم لا بد أن نتحدث عن الوحدة الموضوعية في السور القصيرة كمثال ثابت لوحدة الموضوع فيها، ونأخذ مثالاً على ذلك سورة الإخلاص، التي كان موضوعها تقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى، وسورة الكافرون التي كان موضوعها المفاصلة عن الكافرين، وسورتي الزلزلة والقارعة والتي تدور أحداثهما حول أحداث يوم القيامة والحساب فيه.

وهناك بعض السور القصيرة التي تتعدد أهدافها وأغراضها، ولكنها لا تخرج في الغالب عن هدفين أو ثلاثة، كسورة الطارق، التي تحدثت عن قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق، وعن تقرير الوحي المنزل على الرسول الكريم محمد ﷺ، وسورة الغاشية، التي تناولت أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة، والاستدلال على قدرته بالمخلوقات، وسورة القلم، التي كان موضوعها الأساسي الدفاع عن شخصية رسول الله ﷺ وتحذير الكافرين من التقول عليه، وإلصاق التهم الباطلة به.

ومن هنا نقول، ومن خلال دراستنا للوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم: إننا لسنا في حاجة إلى التفسير الموضوعي في أي زمان مثل حاجتنا إليه في هذا الزمان، الذي يطالب فيه المسلمون أن نخرج لهم البحوث العلمية الصحيحة التي تنظم علاقتهم بربهم، وبمجتمعهم الكبير وأسرهم وأولادهم ومتطلبات أنفسهم، لأنه إذا كانت المباحث القرآنية متجلية للباحث بجميع نواحيها، متجهة به إلى غايتها، مبرزة لنواحي الحكمة في دعوة القرآن إليها، كان ذلك النهج باعثاً للمطلع عليه إلى أن يسلك الطريق الذي رسمه القرآن، حيث كان واضح الغاية، محدد النهاية، بارزاً في

=الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٠، ٤٤، وكذلك راجع التفسير الموضوعي للدكتور أحمد السيد الكومي، طباعة دار الهدى، مصر سنة ١٩٨٠م، ص ١٣ وما بعدها.

تصويره، باعثاً لإشباع رغبة الإنسان من موضوع إلى موضوع آخر، فالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم هو الطريق الأمثل الذي يؤدي بالناس إلى أن يفهموا القرآن، فيتبينوا اتصالهم بواقع حياتهم، حيث يرشدهم إلى الصالح منها، ويجنبهم ما يكون حذراً لهم، وعائقاً عن طريق إسعادهم، وهذه هي أمثل الطرق في إبراز موضوعات القرآن الكريم.

تتمة :

ومن أهم ما يلفت الانتباه في القرآن الكريم ارتباط أوله بآخره، ووسطه بأوله وآخره، بل من يتأمل في القرآن الكريم يجد أنه يستعرض أدق التفاصيل بأساليب مختلفة من البيان الذي يجسد أعلى درجات البلاغة لموضوعات غاية في الدقة كالتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد والتشريع في المعاملات والعبادات واستعراض المبادئ الأخلاقية كالصدق والحق والإخلاص وكذلك الرذائل الأخلاقية كالغيبة والنميمة والحسد وفحش القول والكذب وهلم جرا من الأمور في كل واقعة بما يتناسب وإياها وعند جمع الوقائع المختلفة ولم شمل القصص المتعددة ستخرج بوحدة موضوعية تدهش العقول وتحير الألباب حيث يستحيل على أي كاتب أو مفكر بل على جميع مفكري البشرية أن يأتوا بمثل هذا التناسق الذي حيّر بلغاء العرب الذين لم يكن لهم هم إلاّ فهم أسرار العربية فأذعنوا له عاجزين عندما

تحداهم القرآن الكريم ولم يعيبوا عليه بأنه ليس له وحدة موضوعية بينما قصائد شعرهم ونثرهم تتحدث عن جانب معين أو حيثية خاصة أما القرآن الكريم فإنه يستعرض علاقة الإنسان بالله تعالى وبالكون وبأخيه الإنسان وبالقادة الإلهيين من الأنبياء والرسل والأوصياء ويجمع بين العبرة والموعظة والتشريع دون أي تضاد أو تناقض أو نقص في أساليبه البلاغية ليؤكد ذلك على أنه ليس من صنع البشر بل هو {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}.

ولهذا فإنّ خطاب القرآن لا يؤثر في روح الإنسان ونفسه فقط، وإنما يؤثر في الكون بأكمله لأنه يبني روح الإنسان ونفسه على الفضيلة والعدالة والقيم ولا يجيز له أن يظلم أخاه الإنسان سواءً اشترك معه في الدين أم اختلف معه، من هنا يخشع كل شيء في الكون لآيات الذكر الحكيم، قال تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الحشر:٢١)

س٧/ ما معنى قوله تعالى: (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)؟

ج٧/ أما المراد بالعين الحمئة (حمئة) تعني في الأصل الطين الأسود ذا الرائحة الكريهة ، أو الماء الآسن الموجود في المستنقعات . وهذا الوصف يبين لنا بأن الأرض التي بلغها " ذو القرنين " كانت مليئة بالمستنقعات ، بشكل كان ذو القرنين يشعر معه بأن الشمس كانت تغرب في هذه المستنقعات ، تماما كما يشعر بذلك مسافر البحر ، وسكان السواحل الذين يشعرون بأن الشمس قد غابت في البحر أو خرجت منه ! .

ومن نظر إلى خريطة العالم ستبدو له مناطق الينابيع الحارة أو السخانات تقع في أقصى غرب الكرة الأرضية، وهذه المنطقة سماها القرآن (مغرب الشمس).

سبب هذه الظاهرة هي أن الدماغ لا يستطيع أن يدرك البعد الثالث أو العمق من على مسافات كبيرة، فيرى المنظر وكأنه ثنائي الأبعاد. مثلاً عندما ننظر إلى النجوم في السماء لا نستطيع التمييز بين الأبعد والأقرب على الرغم من أن المسافات التي تفصلنا عنها تقدر بمليارات الكيلومترات، إلا أننا نراها جميعاً على مستوى واحد.

والآن لنتأمل بعض الصور الملتقطة حديثاً للمنطقة التي تسمى يلوستون Yellowstone (الحجارة الصفراء) وهي منطقة مميزة على مستوى العالم وفيها ينابيع ساخنة Geyser تتدفق باستمرار، ولا تزال تحافظ على حالها منذ آلاف السنين، ويقول الخبراء إن أجمل منظر لغروب الشمس هو ذلك الذي يُرى في مناطق السخانات Geyser في أقصى غرب الأرض.

وقد يكون هذا هو المنظر الذي رآه ذو القرنين عندما وصل إلى العين الحمئة، وهي منطقة تتدفق منها المياه الحارة باستمرار (والله أعلم)، ومثل هذه المناطق لم تكن معروفة زمن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم). ولذلك فقد وصل إليها ذو القرنين. وبالفعل عندما نتأمل الكرة الأرضية نجد أن هذه المنطقة تقع في أقصى الغرب، وهذه المنطقة سماها القرآن (مغرب الشمس).

على عكس ما يسوق الملحد فإننا عندما نتأمل هذه الصور ونتأمل الآية الكريمة نستطيع أن نرى عدة معجزات علمية. لنتدبر الآية أولاً وهي قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) [الكهف: ٨٦]. دققوا معي في كلمة (وَجَدَهَا)، لم يقل مثلاً: (والشمس تغرب ..) أو (إن الشمس تغرب في عين حمئة..) ولو قال ذلك لكان هناك خطأ علمي بالفعل، ولكنه قال (وَجَدَهَا تَغْرُبُ) أي أن ذا القرنين هو الذي وجدها ورآها حسب رؤيته الخاصة.. وهنا القرآن يصف لنا ما يراه البشر، ولا يتحدث عن حقيقة علمية.

والآن لنتأمل هذه المعجزات :

١- لو كان النبي الكريم هو من ألف القرآن فمن أين علم بوجود ينابيع حارة (عيون حمئة) في أقصى غرب الكرة الأرضية؟ هذه المناطق لم تكتشف إلا بعد اكتشاف قارة أمريكا.

٢- القرآن وصف لنا ظاهرة الخداع البصري الخاص بالبعد الثالث، حيث إن الإنسان عاجز عن رؤية البعد الثالث وتصبح الرؤية مسطحة أو مستوية أمامه عند خط الأفق. والإعجاز يتجلى في كلمة (وَجَدَهَا)، فهذه الكلمة تؤكد لنا أن القرآن يتحدث عن الرؤية البشرية.

٣- لقد أشار القرآن إلى منطقة في أقصى الغرب وهي (مغرب الشمس) هذه المنطقة تتميز بعيونها الحمئة (الساخنة)، وهذه إشارة لقارة أمريكا قبل أن يكتشفها البشر بقرون طويلة.

وأخيراً هذه محاولة لفهم الآية وقد تحوي هذه الآية أسراراً أخرى أعظم، وقد يتمكن البشر يوماً ما من اكتشاف العين الحمئة التي أخبر عنها القرآن ... والله أعلم.

بقلم عبد الدائم الكحيل

www.kaheel7.com/ar

رابط الموضوع http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-20-10-20/16892

س٨/ لماذا لا يجوز لغير المسلم أن يبشر بدينه في بلاد المسلمين؟

ج٨/ من الواضح أنّ الدين الإسلامي هو دين الفطرة وهو دين الحقوق والعدالة الذي إذا طبق عمّ الأمن والسلم للمسلمين ولغيرهم، ولهذا يحرص الإسلام الحنيف على تطبيق هذا الدين لما فيه من خير للإنسانية جمعاء، وكي ندرك ذلك فإنّ بعض ما أبدعه البشر كالديمقراطية التي لا يمكن بحال أن تصل إلى مبادئ الإسلام القيمية لا يجيز من يتبنى الحكم الديمقراطي في الغرب أن يدعى إلى غيره لما في ذلك من اعتداء على قيم وكرامة تلك الدول والشعوب الغربية، فما بالك بدين سماوي فيه من الخير ما لا يوجد في سواه، كيف يسمح بالاعتداء على قيمه ومبادئه في رقعته الجغرافية، إنّ هذا لا يتناسب مع منطق العقل وهكذا من يدير شركة لا يسمح لغيره أن يبشر بأنظمة تتنافى مع قيم ومبادئ تلك الشركة التي ينبغي أن يؤمن بها جميع المنتسبين إليها.

إذن هذا هو حال الإسلام في عدم جواز التبشير لغيره من الأديان في دياره، وكذلك ينطبق الحال على الديمقراطية وغيرها من المبادئ الوضعية بل وينطبق على الشركات والبيوت وغير ذلك لأنّ التبشير بغير مبادئ الإسلام نقض للغرض لا يجيزه العقل، أما بالنسبة لغير المسلمين فإنّ التبشير في الإسلام في ديارهم لا يتنافى مع قيمهم كالحرية وحقوق الإنسان والعدل، ولو تنافى التبشير بالإسلام مع قيمهم كما هو حال التبشير بالإسلام المحرف الذي يتبناه خوارج العصر لرفض من قبل الغربيين كما نشاهد ذلك في عصرنا الراهن، وبذلك اتضح معنى السلام في الإسلام.

س٩/ ما معنى الدين؟

ج٩/ الدين هو اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى.

ويأتي بمعنى العبادة والطاعة وأيضاً بمعنى القرض، وكل المعاني السابقة للدين صحيحة، فإذا جعلناه بالمعنى الأول فهو بمعنى جميع ما تعبدنا به الله تعالى من أحكام في العبادات والمعاملات والأخلاق وجميع ما يتعلق بارتباط الإنسان مع الله تعالى ومع أخيه الإنسان ومع الكون، أما إذا كان بمعنى العبادة فسوف يعطينا معنى أعمق يدلل على جميع ما تقدم مع وجود نية صادقة للتوصل بذلك إلى القرب من الحق تعالى، وإنْ كان بالمعنى الثالث وهو القرض فسوف يدلل على أنّ جميع ما أعطانا الله تعالى إياه من نعم فهو إقراض لنا يراد به أن نصل من خلاله إلى الله تعالى، وقد جاء هذا التعبير في بعض آيات القرآن الكريم، قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)الحديد:١١، وقال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا)البقرة:٢٤٥، وقال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)المائدة:١٢، وقال تعالى: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)الحديد:١٨.

وعليه فإنّ القرآن يفسر لنا الدين أفضل وأحسن تفسير، بأنه ارتباط بين المخلوق وخالقه من خلال استشعار المخلوق بنعم الخالق المستدعية لشكره والارتباط به وعبادته، ولأنّ هذا المعنى غاية في الوضوح لا يحتاج إلى تفسير

يفهمه عامة الناس من لفظ الدين لكنّ من يريد أن يشكك يتصور أنّ الدين لم يفسر في القرآن بالرغم من وضوح المعنى عند عامة الناس فضلاً عن العرب والمسلمين.

س١٠/ ما هي حكم وفلسفة التشريعات الإسلامية؟

ج١٠/ هناك فلسفة عميقة للتشريعات الإسلامية يدرك الإنسان منها بعض الحكم ويخفى عليه كثير منها لارتباط ذلك بكل عوالم الوجود في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنّ الفلسفة والحكمة من بعض التشريعات قد لا تدرك أبعادها بلحاظ عالم المادة فقط وإنما ترتبط بعوالم غيبية، من هنا نعرف السر العميق والبديع من تشريع الإسلام للقصاص والقتل والحدود والتعزيرات لأنّ تلك التشريعات تحافظ على المجتمع الإسلامي وعلى طهارته وعلى مبادئه ومثله، ولو لم تطبق هذه التشريعات لأصبحت الحياة التي ينشدها الإسلام بل الأديان السماوية عامة لا معنى لها بل لانتشر الظلم وساد القتل وتعدي على الحرمات وانتهكت المقدسات، إذن السر في إقامة القصاص والحدود والتعزيرات هو إرساء مبادئ العدالة الاجتماعية وإيجاد كرامة للإنسان كأمة ومجتمع لا يتلوث بالرذيلة ولا يسوده الفساد، ثم إنّ المعترض لا يجابه بالقتل بل يشرح ويوضح له حقائق التشريع وتقام عليه الحجة بأبلغ البيان، لكنه إذا تمادى في غيه سيصبح كالعضو الفاسد في الجسد يستأصل لئلا يؤثر سلباً على بقية الجسد.

س١١/ هل الإسلام يجيز قتل أهل الذمة إذا طبقوا العهود والمواثيق أم لا ؟ وإذا كان لا يجيز فما معنى قوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) ؟

ج١١/ من الواضح أنّ الإسلام أقر اليهود والنصارى على دينهم ولم يجبرهم على الدخول في الإسلام بل أوجب الحفاظ عليهم وحرّم الاعتداء عليهم والإساءة إليهم وهناك أحكام مشهورة لفقهاء المسلمين مستنبطة من الأحاديث الصحيحة والجمع بين آيات القرآن توضح التعامل الأمثل مع أصحاب الديانات السماوية ولا نريد أ ن نذكر ما جاء في ذلك من أحاديث وروايات وأحكام فقهية فصلت في الموسوعات التي أعدت لتبيان الأحكام غير أننا نشير إلى بعض الأحاديث التي تحرم الإساءة إلى أهل الذمة

فهذا ما ورد في معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم ومِلَّتهم وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وبِيَعهم وصلواتهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا مِلَّتهم، ولا يُغيَّر أسقف عن أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقًّا، فبينهم النصف، غير ظالمين ولا مظلومين، على ألا يأكلوا الربا، فمَن أكل الرِّبا من ذي قبل، فذمَّتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي محمد

رسول الله أبدًا حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم.[31]"

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46kS3bNsa

بل ويتمتَّعون بالبرِّ والإحسان، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لهم ما لنا، وعليهم ما علينا))، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((مَن قذف ذميًّا، حُدَّ له يوم القيامة بسياط من نار))، ((مَن آذى ذميًّا، فإني خَصْمه، ومن كنتُ خصمَه خصمتُه يوم القيامة))

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46kSvxIIk

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول" :إنما بذلوا الجزيةَ لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا"

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46kTT9Vf4

وقد صرَّح فقهاء المسلمين من جميع المذاهب الاجتهادية بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة، والمحافظة عليهم؛ لأن المسلمين حين أعطوهم العهدَ قد التزموا بدفع الظلم عنهم، وهم صاروا به من أهل دار الإسلام، بل صرَّح بعضهم بأن ظلم غير المسلم أشدُّ من ظلم المسلم إثمًا؛ وقد ذكر ابن عابدين في حاشيته ما نصه: وتَحرُم غِيبته كالمسلم؛ لأنه بعقد الذمة وجب له ما لنا، فإذا حَرُمت غِيبة المسلم حرمت غيبته، بل قالوا: إن ظلم الذمي أشد.[78]

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46pyfpRAk

حق غير المسلمين في عصمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم:

فحق الحماية الذي أوجبه الإسلام على أتباعه لغير المسلمين يتضمَّن حماية دمائهم وأرواحهم، وحماية أعراضهم وأموالهم أيضًا، فاتَّفق العلماء على عِصمة دمائهم وأرواحهم، كعصمة أعراضهم وأموالهم؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله - عز وجل :- ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مَن قتَل مُعاهَدًا، لم يَرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا[79])، والمعاهَد كما قال ابن الأثير: أكثر ما يُطلَق على أهل الذمة، وقد يُطلَق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترْك الحرب.[80]

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46pz0jwX2

يقول غوستاف لوبون: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سَمْحا مِثل دينهم"؛ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص 720.

ويقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين، وهو آندرو باترسون: "إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء، بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف"؛)لا سكوت بعد اليوم؛ بول فندلي، ص.(91)

وكانت سماحة الإسلام سببًا في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل؛ فقال بعد أن أشهر إسلامه: "لقد راعني حقًّا تلك السماحة التي يُعامِل بها الإسلام مخالفيه؛ سماحة في السِّلم، وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كلِّ وصاياه)" معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي؛ إدوار غالي الدهبي، ص.(49)

رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/69692/#ixzz46pzUdsk6

وعليه فإنّ الآية تدعو إلى حربهم كي يلتزموا بما يلتزم به المسلمون من الانقياد للدولة التي تحميهم وترعى مصالحهم أما إذا كانوا لا ينقادون لها ويحصلون على حمايتها فذلك خلاف الواقع، وهذا ما تتعامل به الدول في عصرنا الحاضر، فمن سكن دولة وجب عليه أن يطبق أحكامها العامة مثل دفع الضرائب وإنْ لم يفعل فسوف يطبق عليه القانون لتلك الدولة من السجن والغرامة والأشغال الشاقة وما إلى ذلك من أمور.

وأما قوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فهو وارد في نفس السياق ويؤدي إلى نفس المعنى السابق.